باب الفلسفة:

مستقبل الإنسانية زمن الكورونا

بقلم الباحثة الدكتورة ريم منصور

جامعة المنار تونس

Rim.mansour86@gmail.com

تاريخ الاستلام: 17/6/2021 **تاريخ القبول: 13/7/2021**

مستخلص البحث:

في هذا المقال تم تبيان ملامح مستقبل الإنسانية زمن الجائحة الذي كان غامضا قبلها ولكنه تفاقم مع قدوم فيروس كورونا، حيث أصبح الإنسان يشعر بذعر شديد إزاءه نتيجة خوفه من الموت المفاجئ الذي لم يعد يفرق بين الأفراد على أساس اِنتماءاتهم وإيديلوجياتهم ومستوى عيشهم.

خلقت جائحة كورونا نمطا حياتيا غير نمط الحياة العادي، مما جعل الإنسان يفقد مكانته في هذا العالم ويعجز عن تحقيق أهدافه الوجودية والحيوية ويخاف من لقائه بالآخر لأنّه يمثّل ذلك الشر أو الخطر الذي يهدد كيانه.

ومن جهة أخرى، توصلنا في هذه الورقة البحثية إلى التنظير لمجموعة حلول مقتبسة من مجموعة نظريات فلسفية تساعدنا على الأقل على تجاوز تلك النظرة المقلقة تجاه المستقبل زمن هذا الوباء وتطبيقها لسن مجموعة مبادئ أخلاقية تحترم البيئة الّتي نعيش فيها وتمتين فكرة التضامن الكوني البشرى للتصدي لهذا الوباء.

كلمات مفتاحية: مستقبل الإنسانية، الجائحة، الذعر الشديد، الخوف من الآخر

Résumé :

Dans cet article, nous avons décidé de montrer les traits de l'avenir de l'humanité au moment de la pandémie, qui était ambigu avant elle, mais exacerbé avec l'avènement du virus Corona, car la personne en a eu très peur à la suite de sa peur de la mort

subite, qui ne différencie plus les individus en fonction de leurs appartenances, de leurs idéologies et de leur niveau de vie.

La pandémie de Corona a créé un mode de vie qui a changé le mode de vie normal, qui a fait perdre à l'homme sa place dans ce monde et ne parvient pas à atteindre ses objectifs existentiels et vitaux et craint de le rencontrer avec l'autre parce qu'il représente ce mal ou ce danger qui menace son être.

D'autre part, dans ce document de recherche, nous sommes arrivés à théoriser un ensemble de solutions empruntées à un ensemble de théories philosophiques qui nous aident au moins à surmonter cette vision inquiétante de l'avenir au moment de cette épidémie et à l'appliquer pour décréter un ensemble de principes moraux qui respectent l'environnement dans lequel nous vivons et renforcent l'idée de solidarité humaine universelle pour faire face à cette pandémie.

Mots-clés:avenir de l'humanité, pandémie, panique extrême, peur de l'autre

1. مقدمة:

يبدُو أنّ التساؤُل عن المستقبل في السياق الحالي لحالة الخراب التي نعيشها الآن يتولّد عن نوعيْن من حالات الهلع أو الخوف، أولا إزاء كلّ ما يحدث لنا من أزمات شتى، نذكر منها الإرهاب، المجاعات، الإِستعمار، وغيرها، وثانيا التطوّر العلمي أو التقني الّذي اِنبنى على تحوّلات وقطائع جذرية وتطوّرات كُبْرى مقابل تدمير الطبيعة. إنّنا نعيش في عالم يبدو لنا الآن كأنّه حقق ثورة أو تقدّما مذهلا، لكنّ دون التفكّر في اِرهصاته أو مزالقه التي تنطوي على تقهقر شديد وأزمات حادة أو خطر كبير قد يُهدد الإنسانية جمعاء.

إنّ حاضرنا الراهن يعيش أزمة، فهذا يعني أنّ ملامح اللاّيقين تكبر وحالة الغموض

تزداد أكثر فأكثر في كُلّ مكان وكلّ دولة موجودة في هذا الكون، فالحاضر في طور الهلاك، وكوكب الأرض يحيا ويترنّح، يتدرّج ويتجشأ[1]فهذا دليل على أنّنا ما زلنا نعيش أو نقيم في عالم مرتجّ، مشتت، فوضوي، يدّعِي كأنّه قد حقق ما يمكن تسميته بالعدالة والنّظام بواسطة فكرة التقدّم التي لن تخلق سوى قيم الاِنحطاط، الفوضى والتراجع[2].

لن يتوقّف تاريخ العالم أو البشرية عن الصدمات، الهزّات، والكوارث، ولاسيما عندما نتحدث عن الأوبئة والجوائح الّتي أصابت الإنسانيّة عبر التاريخ، ونذكر هنا مثالاً جائحة «الكورونا» التي زعزعت فكرة التقدّم التي تعدّ بمثابة الإنجاز البطولي لفلسفات التنوير والشعار الأساسي لفلسفة الذّات المفكرة، التي أصبحت تخاف من فنائها بواسطة فيروس مجهري لا مرئي.

بوسعنا أن نتساءل هنا عن بعض الإشكالات:

كيف يمكننا التفكير في مستقبل الإنسانية في ظل هذه الجائحة وبعدها؟

ما ملامح الحياة الجديدة زمن هذا الوباء؟

ألا يكون هنا المستقبل مستقبل النهاية أو العدميات أو حصر الإنسان داخل فضاء مغلق؟

1. الجائحة وقلق المستقبل

1.1. القلق من الوباء أو المستقبل المخيف:

تعيش الإنسانية حالة قلق وجودي إزاء ما يحدث أمامها من أحداث مفزعة سواء أكانت حروبًا، أم إرهابا، أم مجاعاتٍ، أم كوارث طبيعيةً، أم صراعاتٍ إيديلوجيةً، أم أزماتٍ اِقتصاديةً واِجتماعية شتّى، لكنّ هذه الحالة تفاقمت واَشتدت منذ مجيء وبروز «جائحة كورونا» التي جعلت الإنسان في حالة خوف رهيب تجاه هذا «الفيروس اللعين» الذي اِنتشر بسرعة كبيرة واضعًا حدًا لفكرة «اللاعدالة» أي أنّ البشرية جمعاء بمختلف اِنتماءاتها، إيديلوجياتها، هوياتها مهددة بفنائها دون مراعاة تميزاتها واِختلافاتها.

نعيش الآن في حالة فزع دائم زمن هذه الجائحة، وأصبحنا نتساءل عن ملامح مستقبل آتٍ إلينا زمن هذا الوباء وبعده. كيف سيأتينا ونحن نعجز عن مقاومة ذلك الوباء

(1)- (إدغار موران، 2009، ص: 41)
(2)- (إدغار موران، 2009، ص: 33)

وخصوصا إثر اِنتصاراته الكبيرة على تلك الإنجازات والاِكتشافات الرائعة التي كان يفتخر بها رواد فلاسفة التنوير وأنصار الحداثة؟

لا تستطيع أنظمتنا الحالية ضمان مستقبل شعوبها خصوصًا الشعوب العربية التي تعيش تحت سيطرة الجهل الممنهج، الفقر، التهميش، والبطالة، فهي تمكنت من القضاء على صفة الأمل نحو الأفضل والتفكير في الآتي بصفة إيجابية قبل مجيء وباء «الكورونا» وإثر قدومه أصبح التفكير في المستقبل يمثل قلقا كبيرًا[1]يلازم وجود النوع البشري الّذي صار خائفًا من فكرة الفناء أو الموت، وكأنّنا هنا نستدعي أطروحة «كيركغارد» عندما اِعتبر أنّ الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعيش في حالة قلق، فزع، ذهول، يأس، والإحساس بالعجز والاِكتئاب تجاه كلّ ما يقع في هذه الحياة، مدركا أنّ الإنسان لمْ يخْلق حتما للراحة والسعادة، فهذا يعني أنّ بحثه عن السعادة أو المتعة لن يكون سوى هروب من القلق أو الاِكتئاب الناتج عن الإحساس بالضياع؛ لكن الجديد بالنسبة إلى «الكوفيد» الذي لم يخلق للذوات القاطنة في هذا الوجود سوى العجز عن تجاوز هذه الحالة الوجودية المقلقة لأنّ العناء الناتج عن هذه الجائحة يمثل تلك الحقيقة المرّة التي جعلت الذات البشرية تعيش قلقا مفرطا وهو الخوف من اللاشيء أو العدم[2] .

جعلت «جائحة الكورونا» الإنسان يخاف من لقائه بالذوات الأخرى، من الركوب في الحافلة من أجل التنقل أو السفر إلى مكان أو بلد آخر، أو أن يرسل أبناءه إلى المعاهد، المدارس الجامعات، وكلّ هذا الحذر ناتج عن خوفه من الفناء وعن قلقه من المستقبل زمن هذه الجائحة الّذي أصبح مستقبلاً غامضا إثر تكاثر واِنتشار الفيروس، وتقول الباحثة الهندية «أرونداتي روي» في هذا السياق؛ «من يستطيع أن يفكر بتقبيل غريب أو بالقفز على متن حافلة، أو بإرسال أطفاله إلى المدرسة، دون أن يُداهمه خوف حقيقي؟ من يستطيع أن يفكر بمتعة عادية دون تقييم خطرها؟».

يسعى هذا الفيروس، عكس تدفق رأس المال، إلى التكاثر من أجل خسارة الكائن البشري، فقد أسهم في بروز تلك المأساة الحقيقية والملحمية التي اِنكشفت أمام أعيننا وجعلت أغلب المستشفيات تكتظ بعدد كبير من المصابين بهذا الوباء اللامرئي الذي جعل الأطباء يعلنون عن صيحة فزع كبيرة جراء اِنتشاره مقابل ضعف الإمكانيات الصحية لاسيما في الأقطار النامية والأكثر تخلّفا، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، كيف نستطيع التفكير في مستقبل الإنسان ونحن نعجز عن ضمان حقه في الصحة والعلاج

(1)- مجدي كامل، 2016، ص: 72.
(2)- أروناتي روي، 25/05/2021، ص: 1.

والحياة والبقاء؟

يصعب علينا في ظل هذه الكارثة الوبائية اِستشراف مستقبل بهيّ وجيد للإنسانية التي أصبحت تهيمن عليها فكرة الموت أو الخوف الشديد من الإصابة بمرض جرثومي أفقد الإنسان مركزيته ومكانته في هذا الكون، وبالتالي فإنّ التساؤل عن مستقبل البشر في هذا الحاضر الذي تهيمن عليه حرب جرثومية يجعلنا نعتبر أننا لم نعد نسكن في عالمًا تسوده تلك النظرة التفائلية، بل صِرنا نفقد صفة الأمل وندرك أنّ للعالم نهاية وأنّ الأقدار تحدد مصيرنا، حيث اِنتصرت علينا نزعة التشاؤم والعجز عن فعل التغيير والاِكتشاف العلمي ونذكر مثالاً أنّ الدول النامية ومنها العربية تنتظر اِكتشافات الدول المتقدمة دون التفكير في بذل أيّ جهود أو محاولة لإيجاد حلول جيّدة لمجابهة هذا الوباء.

تعيش الإنسانية حاليا حالة من الفزع الكبير جراء «وباء كوفيد» الذي خلخل نظام العالم أو المعولم المساهم في تقريب المسافات وتواقت الأزمنة، لكن هذه العولمة المنفتحة قد ساعدت أيضا على اِنتشار الجائحة بسرعة في أرجاء المعمورة التي أصبحت قرية صغيرة، ويقول المفكر التونسي «محمد محجوب» في هذا المعنى إثر حواره مع «إلتراتونس»؛ «صحيح أن العولمة قربت المسافات وجعلت الأزمنة متواقتة لكنها كشفت لنا أنّ هذا الآخر لا يكون بعيدًا حين نسيء إليه»[1] .

إنّ الخوف من اِنتشار هذا الوباء جعلنا ندرك أنّ مساحته غير المرئية المتخفية في أجساد الآخرين تحولت بدورها إلى دوائر حياونية ناقلة للعدوى دون أية قيود أو مواضع أخلاقية، أي أنّ الجديد هنا هو أنّ الجسد يحمل هذا المرض متجاوزًا هذه الموانع ومُهدّدًا وجود البشر بفنائه واِلتهامه بواسطة وباء أو جائحة عابرة كوحش هارب من المخابر لاجتياح العالم الذي نعيشه[2].وهنا نستطيع على الأقل اِعتبار أنّ النظام الرأسمالي المبني على العولمة أسهم في التقريب بين دول العالم على المستويين التكنلوجي والاِقتصادي، غير أنّه ساعد على تفشّي الجائحة بواسطة سهولة السفر[3] .

لا شكّ أنّ الاِنتشار السريع لفيروس كورونا قد عمق لدى الإنسانية جمعاء الشعور بعدم الاِطمئنان إزاء ما يحدث لنا من موت مفاجئ ومباغت جراء هذا المرض المجهري، فهذا القلق أصبح بمثابة الظاهرة اليومية الروتينية التي تصاحب الإنسان في وجوده وكأنّنا هنا قد فقدنا الأمل الكبير في زوال هذا الوباء الذي لن يغادر حياتنا التي صارت

(1)- (محمد محجوب، 2020، ص: 2).
(2)- (فتحي المسكيني، فبراير 2020، ص: 4).
(3)- إدغار موران، 12/04/2020، ص: 1

رهيبة ومقلقة ومفزعة.

قد أعاد وباء كورونا للعقول أو الذاكرة البشرية ذكريات سابقة مع الأوبئة التي فتكت بالعديد من البشر على مر العصور وتمكنت أيضا من طمس العديد من الحضارات، فهي تعتبر من أهم العوامل المساهمة في تغيير مجرى التاريخ وتحديد أقدار سكان العالم[1] .

يُعبّر مجيء وباء كورونا عن حالة عجز كبير أصاب العقل البشري منذ سنة فأكثر وهو يمثل عودة الموت الأسود الذي كان مع وباء «الطاعون» الذي عصف بالعديد من الأرواح– البشرية.

تتعاضد الكورونا مع وباء الطاعون رغم اِختلافها عنه في نشر الموت الأسود أي أنّ جميع المدن الموجودة في هذا العالم تحولت إلى مناطق أشباح مجهورة[2]، ولكن جائحة الكوفيد في ظرف سنة كانت أكثر عصفًا بالنوع البشر من وباء الطاعون. لا يوجد أي علاج مناسب وفعّال لهذا الوباء الذي يضر بالرئتين والجهاز التنفسي، فالخوف من اِنتشاره جعل البشرية في حيرة وسخط لأنّه قادر على حصد العديد من الضحايا في العالم أجمع، وتبعا لذلك فهو يرمز إلى أكبر حدث مأسوي في تاريخ البشرية لأنّه ساعد على اِنتشار حياة الرعب والفزع الذي اِنتاب كل شخص عندما ضرب هذا الوباء حياته وجعله يتأكد من أنّ هذا الفيروس ينتقل بسرعة مباشرة من شخص إلى آخر.

1.2. الحجر الصحي مستقبل الإنسانية الجديد:

لقد تمكن هذا الوباء بوصفة فيروس صغير لا يمكن رؤيته بالعين المجرّدة من تغيير وجه العالم وطبيعة الحياة البشرية التي تميل إلى العيش مع الآخر والتواصل معه، إذ أصبح العديد من البشر يخضعون للإقامة الجبرية في منازلهم واِلتجأت القوى العظمى إلى الاِنزواء على ذاتها خوفا من سرعة العدوى وبالتالي اِنقلب نمط الحياة العادية رأسًا على عقب في ظلّ جائحة تمنع لقاء الآخر بالآخر؟

يعيش الإنسان في حالة رعب هائل أمام هذه الجائحة التي ما زالت منتشرة رغم اِكتشاف عدّة لقاحات توظف لحماية الجسد البشري ضدها، فهذا الرعب كان نتاج الخطر البكتيري القادر على مسح الحياة من سطح الأرض، لذلك كان من الأجدر

(1)– محمود محمد علي، 14/03/2021، ص: 88
(2) – محمود محمد علي، 14/03/2021، ص: 91

اِعتماد مفهوم الحجر الصحي للحفاظ على الذات واِعتبار الآخر بمثابة العدو أو الشر الذي ينبغي نفيه وإبعاده.

ضربت جائحة الكورونا تلك النظريات الفلسفية التواصلية، المنفتحة على العالم والمتجاوزة لعزلة الذات ونذكر هنا مثالاً فلسفة «هسرل» التي تفرض على الأنا خروجها من العزلة وتجاوزها لفكرة الاِنطواء مقابل اِنفتاحها على العالم والآخر لأنّها لا تستطيع التفكير دون وجود الآخرين والاِجتماع معهم وفي هذا المعنى يقول هسرل؛ «ثم إنني لا يمكن أن أفكر ذاتي دون آخرين، دون اِجتماع معهم. إنني أولد داخل الجماعة، ولذلك فأنا مدين للتواصل الدائم مع الذوات الأخرى لمضمون تمثيلي للعالم[1] **(أدموند هسرل، 2008، ص: 29)**»

قضت كورونا على فكرة التواصل الواقعي وعلى اِحتكاك الإنسان بالعالم واِنفتاحه عليه بسبب الخوف من المرض وبالتالي جعلت الإنسان يتصرف تجاه الآخر بكيفية حذرة إلى حد تنتهي به إلى إقصاءه واِبعاده لأنّه أصبح عدوًا مخيفًا يهدد كيانه.

1.3. التعليم عن بعد وخلق التفاوت بين الدول والفئات:

اِلتجأت دول العالم للسيطرة على الاِنتشار الكبير لفيروس الكورونا وتأثيره في حياة المتعلمين والأساتذة، إلى «التعليم عن بعد» كحل أنسب للتصدي لهذه الجائحة غير المتوقعة لذلك سعت إلى اِتخاذ قرارات إغلاق المدارس والجامعات، فكان البديل هو التعليم الرقمي أو التدريس عبر الإنترنيت لمواصلة سير سائر الدروس والمحتويات العلمية في شكل نصوص متنوعة ومطبوعة ومحادثات ونقاشات بالاِعتماد على منصات اِلكترونية مثل «زوم» أو «واب باكس» أو «موديل». قد سلط زمن كورونا الضوء على ضرورة توظيف منظومة التعليم عن بعد وإعطاء الفرص للطلبة لمواكبة هذا النمط الجديد لعله يمثل الحلّ الأنسب للتصدي لهذا الخط الذي يهددهم.

يضمن التعليم الاِفتراضيّ عدّة إيجابيات نذكر منها: تيسير الوصول إلى المحتوى التعليمي المطلوب أي أنّ التعليم عبر الإنترنيت يُعدّ طريقة ملائمة لسائر الطلاب، خصوصًا، بالنسبة إلى الطلبة الذين يُقيمُون في دول أجنبية، فهذه الطريقة تساعدهم على الوصول إلى المحتوى العلمي الذي يريدونه دون التنقل إلى الدول التي يدرسون فيها، كما أنّ للتعليم الاِفتراضي فائدة أخرى تكمن في دعم عملية الاِستعاب ويتم ذلك

(1)-

بواسطة مشاهدة المحاضرات أكثر من مرة لمزيد اِستعابها وفهم إشكالاتها بعمق وبالتالي تعزيز فاعلية التعلم والمعارف. وأخيرًا نجد مزايا بيئية، فهذا يعني أنّه يُمثل وسيلة رقمية غير مستخدمة للورق الذي يتسبب في الإخلال بالوضع البيئي عكس التعليم التقليدي[1]، إلا أنّ هنالك عدّة حدود للتعلم عن البعْد، من بينها خلق تفاوت كبير من الطلاب أو الفئات أو الدول التي تعجز حتما عن تطبيق هذه الطريقة التي تتطلب اِعتماد برامج توجيهية وتدريبية لتعليم الطلبة وتنمية قدراتهم التكنولوجية، مع العلم أنّ دولنا العربية تشهد تأخرًا تكنولوجيا مقارنةً بالدول المتقدمة، وهنا تعتبر العدالة أكبر عقبة أو عائق في التعلم الإفتراضي، إذ لا ينطوي هذا على المشاكل التقنية كضعف الإنترنيت، بل أيضًا الصعوبات الاِجتماعية والمادية، لذلك هنالك عدّة متعلمين يعيشون تحت ضغط نفسي ناتج عن ضعف الإمكانات الماديّة وكذلك تدني مستوى البنية التحتيّة للاِتصالات و»النيت»، أضف إلى ذلك إرتفاع نسبة الجهل الإلكتروني[2].

خلق التعلّم عن بعد مستقبلا هشًّا بالنسبة للفئات التي تعيش الفقر والحرمان المادي، فهي لا تستطيع مواكبة هذه الدروس الإفتراضية والاِستفادة منها وهنا أسهم التعلّم الإلكتروني في تعميق التفاوت التكنلوجي بين الدول المتقدمة والنامية وإبراز المجتمعات الطبقية المتكوّنة من طبقات ثريّة برجوازية محظوظة تتمتع بمرافق حياة جيّدة وراقية وفئات فقيرة مهمشة غير قادرة على مواكبة هذا التطور التكنلوجي نظرًا لضعف إمكاناتها المادية.

إنّ مستقبل الإنسانية من خلال تطبيق طريقة «التعلم عن بعد» يتمثل في ترسيخ قيم اللاعدالة والتفاوت بين الأغنياء والفقراء، وكأنّ هذه الطريقة قد أعادت المشكل الّذي طرحه «ماركس» وهو أنّ المجتمع مقسم نوعين من الطبقات: الطبقة البرجوازية المتحكمة في المجتمع والتي تحتل موقعًا هامًا في سوق العمل من خلال اِمتلاكها لمؤسسات الإنتاج، والطبقة العمالية التي تعيش تحت وطأة اِستغلال الرأسماليين، فهي حتما طبقة ضعيفة وفقيرة[3] .

(1)- محمود محمد علي، 14/03/2021، ص: 18
(2)- محمود محمد علي، 14/03/2021، ص: 20
(3)- ألان تورين، 1998، ص: 148

2. فقدان مركزية الإنسان وقصوره الفكري والإيكولوجي

2.1. تدهور منزلة للإنسان وسيادته على الطبيعة:

يبدو أنّ أسئلة المستقبل في ظل هذه الكارثة التي نعيشها محرجة ومقلقة لأنّنا نعيش في حالة ذهول وعجز كبير عن إنقاذ البشرية من الخراب الذي ميز حياتنا التي تسود فيها أجندات الموت لأبناء هذه الحياة بسبب فيروس لا مرئي فرض علينا نظاما حياتيا آخر مخالفا لنمط حياة الإنسان المعتادة.

تشهد الحداثة الفلسفية منذ «ديكارت» على مولد مفهوم الذّات العارفة والمفكرة التي تبسط سيادتها على الأشياء والعالم أو الطبيعة، وفي الحقيقة يبدو أنّ هذا الاِكتشاف كان بمثابة الإنجاز الرائع في الفكر الحداثي الذي أولى مكانة هامة لسيادة الإنسان بوصفه عقل مفكر وتميزه عن سائر الكائنات الأخرى المتواجدة في الطبيعة.

يقول كانط في نصه المشهور ما هي الأنوار؛ «إن بلوغ الأنوار هو خروج الإنسان من القصور الذي هو مسؤول عنه، والذي عجزه عن اِستعمال عقله دون إرشاد الغير»[1].

يعتبر الكسل السبب الرئيسي أو الأساسي الذي يجعل العديد من البشر قصرًا، إثر تحرّرهم منذ أمدٍ طويل، فهذا يثبت أنّ الفلسفة الكانطية تؤمن بحرية الإنسان التي تتحقق بواسطة الاِستعمال الجيد للعقل المتحرر من جميع أشكال القسر والمراقبة، فهو يعول على تنصيب الإنسان وجعله متميّزًا عن أغلب الكائنات الأخرى لأنه الكائن الوحيد الذي له ملكة العقل، لكن للكورونا رأي آخر يظهر في قلب الاِكتشاف الذي دشنته فلسفة الحداثة.

اِنقلبت الشجاعة التي جعل منها كانط شعارًا للتنوير إلى خوف ورعب سكنا العقول والقلوب وبالتالي يفتقد الإنسان مكانته وسيادته على الطبيعة. إنّ عصر الكورونا الذي ما زال في بدايته، قد أخضع فكرة الإنسان لخطر مربك[2]، لأنّه أصبح مهددًا في حياته مقارنةً بالكائنات الأخرى.

لا شك في ذلك، إنّ فيروس كورونا جعل الإنسان فاقدًا سلطانه على سائر الكائنات الأخرى وتعاليه عنها، إذ أصبح مهددا في مصيره أكثر من الحيوانات والنبات، وهنا يعجز الإنسان على توظيف قدرته على لِاستعادة الفرح أو التطوّر الذي عاشه مع فلسفات العقل والتفكير. منعت هذه الجائحة الإنسان من التصرّف وفق إرادته وتطبيق

(1)- إمانويل كانط، 2005، ص: 85
(2)- فتحي المسكيني، 25/04/2020، ص: 1

حريته حتّى في الفعل الإبداعي وخلق نمط حياة يليق بمستوى إرادته ونزوعاته وتصوراته للحياة. يفقد الإنسان سيادته على العالم وسائر الكائنات المتواجدة معه في الطبيعة لأنّه حُرِم بواسطة هذه الجائحة من فعل الحرية كحريّة التنقل، التجوّل، المشاركة في ملتقيات ثقافية خوفًا من العدْوى الناتجة عن لقاء الآخر بالآخر؛ تقول المفكرة أم الزين بن شيخة المسكيني؛ «إنّها وضعية وبائية خيالية أقحمت الجميع في زمنية وجودية مغايرة هي زمنية العبث أو الإستثناء أو العدمية السالبة أو هي زمنية التوحد بِامتياز»[1].

تتخذ الحرية مع الكوجيطو الحداثي معنى التعارض مع القسر المسلط على الذات البشرية وذلك عندما ينصبّ التفكير الفلسفي بعيدًا عن أيّة سلطة خارجية تعيق الفعل الإنساني المتحرر والمتجاوز فكرة القيود، غير أنّ هذه الجائحة وضعت حدّا إلى تلك المغالاة والثقة المتهورة للذات المفكرة التي تعتبر نفسها سيّدة الكون والمنزاحة عن أيّ قيد سواء أكان طبيعيا أو غير طبيعيّ، فتصير هذه الذات في هذه اللحظة غير جديرة بهذه الحرية جراء تلك النكبة التي أصابتنا والتي أفقدت كثيرًا من الأبرياء أبسط حرياتهم الحياتية.

لا ريب في ذلك، إنّ مستقبل الإنسانية زمن هذه الجائحة هو مستقبل غامض مقلق لاسيما عندما يعجز العقل البشري عن إيجاد حلول، سبل وأدوية تحدّ من وطأة هذه الجائحة، رغم اِكتشاف مجموعة لقاحات ببعض الأقطار المتقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة البريطانية وروسيا وكذلك جمهورية الصين الشعبية، أُعتمدت للتصدي لهذا الوباء ونذكر من أهمها «فايزر، سبوتنيك، أسترازينيكا» وغيرها، لكن المشكل هنا يطرح نفسه: هل تقدر هذه التلاقيح المُكتشفة على القضاء على هذه البكتيريا اللامرئية التي تطورت من سلالة إلى أخرى وهل تنجح في حماية البشرية جمعاء دون مضاعفات صحية؟

لم يتمكن العقل العلمي من اِكتشاف دواء أو مضاد فعّال ضد هذا المرض الخطير الذي لم يفتح له المجال للصمود ضده وتطوير بحوثه بسبب تحوّله إلى عدة سلالات أشد خطورة من السابقة، وتبعا لذلك نقول إنّ العقل البشري لن يفلح في تقديم حلول فعالة ضد هذا الوباء تضمن فعلا نهايته واِنقراضه رغم اِكتشافه لمجموعة تلاقيح قد تساهم في الحد من خطورته ولكن دون اِنقراضه. لقد زعزعت إذن جائحة الكورونا تلك الفكرة القائلة بانّ الحضارة عرفت تقدما كبيرًا عندما قطعت مع الدين واَكتشف مفهوم الذات المفكرة، إذْ أثبتت أنّ البشرية عجزت عن بلوغ التقدم لأنّها هُزِمت بواسطة فيروس جعلها

(1)- أم الزين بن شيخة المسكيني، 02/04/2020، ص: 2

تعيش حالة فزع، ذهول وقصور فكري، وكأنّنا هنا نستدعي القوْل الكانطي في جوابه عن سؤال التنوير عندما أثبت أنّ البشرية يلزمها الكثير لتحقيق فكرة التقدم الذي يبدو أنّه لن يتحقق بصفة نهائية، ووفقا لذلك نستطيع القول إنّ هذه الجائحة أبرزت لنا حدود العقل الإنساني الذي ينبغي عليه اِستعمال عقله بثبات حتى يعلن بواسطة اِكتشفاته العلمية عن نهاية هذا الوباء القاتل.

إنّنا أصبحنا نشتاق إلى تلك الحرية البسيطة التي أثبت عجزنا عن ممارستها دون اِعتماد الأقنعة الواقية، فليس للإنسان في هذه الجائحة حرية اِستنشاق هواء طبيعي لأنّه مجبر على اِرتداء هذه الأقنعة لِكيْ لا يصاب بالعدْوى الناتجة عن اِحتكاكه بالآخر، ويقول الأستاذ محمد محجوب لإلتراتونس: «إننا بتنا اليوم نشتاق تلك الحرية البسيطة التي كانت فينا كالآلية...هل أكثر من هذا تعبيرًا عن هشاشتنا وهشاشة اِنتمائنا إلى العالم؟ هل سنغادر من جديد هذا المحبس الذي اِضطررنا إليه؟ وهل سنكتشف من جديد بساطة حركاتنا وحرية اِستنشاق الهواء دون واق يحول بيننا وبينه؟[1].

هذه أسئلة تجعلنا نعجز عن التفكير في مستقبل البشرية التي فقدت حريتها العادية وبقائها في محبس أو سجن يمنعها من حرية التنقل وزعزعت فكرة الإنسان الذي يمشي فوق الأرض مشية الكائن المنتصر والمالك الذي لا يُسأل عن أفعاله. بينت أزمة كورونا ممارسة الاِحتقار تجاه الذات البشرية من قبل الأنظمة الرأسمالية التي قسمت الإنسانية إنسانيتين: إنسانية جديرة بالحياة وإنسانية مصيرها المحتوم الموت أو الفناء، وأصبحت الصحة أو الحياة تشترى بالمال وتكاد أن تكون اليوم فقط حق للطبقة العليا التي تملك الأموال والنفوذ والجاه بيد أنّ الإنسان الفقير أصبح يُترك بلا عناية يواجه قدره بصفة فردية، وعلى هذا الأساس تمكنت هذه الجائحة من إماطة اللثام عن السياسات الاِحتقارية التي تمارسها السلطة على الإنسان والتي يمكن تلخيصها في هذا الشعار المعبّر «المال قبل الرجال» وفي الجملة التالية: «اتركوهم يعيشون» و»اتركوهم يموتون» [2]. فقد الإنسان قيمته في هذه الجائحة حتى في طريقة الدفن أي أنّه يموت دون توديع، دون العودة إلى البيت، يُدفن مباشرة في المقابر بطريقة مأسوية، تلغي تلك القداسة التي فرضتها الأديان على طرق تشييع الجثامين ودفنها، وبالتالي فكأنّ هنا الإنسان أصبح يمثل خطرًا على الآخر عندما يكون جثة. أصبح الموت في هذا الوباء قدرًا محتما، قد يدخل من جميع المنافذ دون أن يميز بين بيت صغير وقصر كبير، وصار أيضا يجعل عددًا كبيرًا من الأشخاص يتحولون من حالة النشاط المنتشي بالحياة إلى حالة الخوف

(1) – محمد محجوب، 12/04/2020، ص: 2

(2)– فتحي التريكي، 12/04/2020، ص: 3

والقلق ووضعية الجثة الهامدة.

كشف لنا فيروس كورونا كونية الطبيعة وقوتها وكونية الإنسان وضعفه ويبرز لنا أنّ الحقيقة الإنسانية المشتركة هي الهروب والخوف من الموت، فهذا هو قدر الإنسان وهذه أيضا مأسوية الحياة التي لا نستطيع أن نعيشها بطمئنينة وفرح بل بخوف وألم نخشى فيه الفناء أو المرض.

2.2. التقدم التقني والكارثة البيئية وعلاقتها بالجائحة:

لم تفكر الحضارة الإنسانية التي تؤمن بالتقدم العلمي في مستقبل البشر على المستوى الإيكولوجي، فهذا يثبت لنا أنّ حضارتنا الصناعية تخفي في ذاتها تحطيمها الذاتي لأنّ كل تنمية تعيشها حضارة ما قد تبرز نقائضها من بربرية ووحشية إزاء الطبيعة أو البيئة.

تتجه حضارتنا التي تدّعي كونها قدْ بلغت التطور إلى فكرة التحطيم الذاتي، وإذا تحقق هذا التحطيم فإن للسياسة، العلم، التقنية والإيديلوجيا دورًا في بلوغنا مرحلة الوحشية الكاملة التي مُرست ضدّ كوكبنا بواسطة التصنيع، الآلة والحروب التي دمرت أنحاء المعمورة.

لن تسعى الأنظمة الرأسمالية المتقدّمة إلاّ إلى تحقيق مصالحها الذاتية التي تكمن في الإنتاج المضاعف والغزو غير المباشر عن طريق الأسواق العالمية والحروب المباشرة التي تمكّنها من اِكتساب عدد كبير من المستعمرات دون إدراك تأثيراته السلبية في المحيط البيئي.

لقد تبين لنا أنّ التطور التقني ليس مجرّد تطور متدرج لأنّه ينطوي على اِنحطاطات خاصة ينتجها بسبب النزعة الاِستعمارية للدول المهيمنة على العالم التي تؤمن بالكفاءة الصناعية والتقنوقراطية التي تعدّ غايتها الأولية، وبالتالي لا تصلح التقنية للأفضل بل للأسوأ[1].

إنّ الوعود الجميلة والمحرّرة لفلسفات التقدم لن تخلق إلاّ حالة من التقهقر البيئي قد يكون من الأسباب الهامة التي ساعدت على الاِنتشار السريع والمباغت لفيروس كورونا الذي يكون نتاج سوء تصرف اِقترفته البشرية ضد البيئة. خلقت الأنظمة المهيمنة على العالم أي الدول ذات الثروات الصناعية المتعاقبة، هذا الفيروس سواء أكان

(1)- إدغار موران، 2009، ص: 35

بكيفية مقصودة أم غير مقصودة لأنّها لم تفكر في توفير الإحترام للمكونات الأخرى للعالم مقابل سعيها إلى تحقيق منافعها الإقتصادية العالمية، وفي هذا المعنى يبرز لنا الفيلسوف وعالم الإجتماع «إدغارموران» في حوار له مع «صحيفة كوريري ديلاسير الإطالية» أنّ تطورات الإقتصاد الرأسمالي خلقت المشاكل الكبرى التي يواجهها الكوكب الآن، مثل تدمير البيئة[1] .

يبدُو أنّ الطفرة الإقتصادية الأوروبية قسمت العالم مناطق نفوذ وخلقت سوقا ضخمة دون الوعي بالمخاطر البيئية أو الأيكولوجية على الإنسان.

إنّ جائحة كورونا كشفت لنا أنّ إنسانية الإنسان الحقة لن تُكْتسب في ظل الأنظمة الليبرالية المتوحشة التي تبخس حقيقته وحقه في بيئة سليمة لأنّ الماهية الحقة للذات البشرية لا تجعل الإنسان مجرد ذات متمثلة تفرض سلطانها على الطبيعة بل تنسبه إلى محيط بيئي أو أرضي يسكنه وينفتح عليه[2].

لقد تصور فيلسوف مدافع عن البيئة (هانس يُوناس) الكارثة التي ستحصل للإنسانية جمعاء بواسطة الغزو التقني الذي دمر البيئة، فهذه الكارثة مضمونها الآتي ضرورة التخلص من فكرة الأمل بوصفها «يطوبيا» وتعويضها بفكرة أو قيمة سيكلوجيّة سالبة وسوداوية تتلخص في بروز مجموعة أحاسيس ترتكز على الخوف والرعب واليأس أي أنّ هذا الفيلسوف أسس لإتيقا الخوف من الكارثة التي ستحل بالبشرية إثر التقدم العلمي الكبير الذي عرفته الحضارة والذي أصبح يُهدد بِاستنفاذ الموارد الطبيعية وتشويه المحيط وإنقراضه [3] .

لم تحترم سرديات التقدم المحيط أو البيئية لأنّها لن تفكر إلا في غزو العالم الذي نعيش فيه وبالتالي يكون إنسان مهددا في حقه الحياتي لأنّ هذا التلوث قد يساهم في بروز الجوائح والجراثيم البكتيرية، وبالتالي يمثل بروز جائحة كورونا حدثا صادما مقلقا ومرعبا، قد يصل حسب التنبؤات والتقديرات إلى أنّه أكثر فداحة من أيّة حرب مرّت بها البشريّة لأنّه طال الحياة الإنسانية في جميع مظاهرها السياسية، الإقتصادية والتربوية، الصحية والإجتماعية.

(1)- إدغار موران، 2009، ص: 1
(2) - محمد الشيكر، 2006، ص: 126
(3)- أم الزين بن شيخة المسكيني، 2006، ص: 121

3. كيفية الخروج من حالة الذعر التي خلقها فيروس كورونا

3.1. التفكير في مستقبل الإنسانية لغد أفضل بواسطة الفن الذي يحد من وطأة شعور الإنسان بالخوف الناتج عن هذه الجائحة:

عندما نمرض نحن، يمرض الوجود معنا، ومن ثمة تمرض الطبيعة، وتعتل الحياة ويضعف أملنا في الحياة وإرادتها لذلك ينبغي علينا أن ندرك أنّ هذه الهشاشة التي تكتسح هذا العالم تفرض علينا ضرورة تجاوزها بتغير هذا الروتين الذي ظل ملازما لنا خصوصا مع قدوم جائحة كورونا.

ربما قد يكون الفن بجميع أنواعه كالرقص، الموسيقى، الأدب الهزلي، والسينما هو الحل الأنسب لهذه المحنة الوبائية التي تهدد كياننا لأنه قد يمنحنا فسحة من الأمل نستطيع من خلالها استعادة قدرتنا على الفرح.

إنّ الفن في زمن الكورونا مثل الحب في زمن الكوليرا يحررنا من العدمية السالبة التي تهدد حياتنا لذلك كان من الأجدر هنا العودة إلى فيلسوف كبير «كنيتشه» عندما أثبت لنا أنّ الفن يمثل أكبر دافع على الحياة ونشوتها وفرحها [1] .

لعلّ هذا هو الحلّ الأنسب الذي يساعد البشرية على تجاوز حالة الإستسلام التي رافقت الإنسان زمن هذه الجائحة لأنّها لن تكون إلاّ في خدمة نزعة التشاؤم التي تعدّ طريقة رقيقة في رفض السعادة، الأمل وإرادة الحياة.

رغم خطورة هذا المرض المنتشر بسرعة غير أنّه يعبر عن إنذار ينبهنا إلى أشياء أكثر أهمية قد فرطنا فيها لأنّنا كنا منشغلين بأشياء أخرى تجعلنا ننسى قيمتها في هذه الحياة لذلك يجوز لنا أن نؤسس تجربة وجودية تليق بنا وتحرّرنا من كابوس المرض الذي عمق مخاوف الإنسان المعاصر من المستقبل، فهذا يعني أنّ اِنعدام الأمل يساهم في اِستفحالها وتفشيها.

إنّ الفنّ يقنعنا أنّ الكارثة الوبائية التي لازمتنا ليست قادرة على هزم قدرتنا التخيلية، لأنّ الخيال هو أعظم ما يكتسبه الإنسان فهو يساعده على التحرر من قسوة الواقع وهشاشته وأحداثه الموحشة والمرعبة ويجعل من الواقع متحوّلاً إلى قصة منتصرة على جميع الأوبئة والكوارث المتنوعة[2].

يكمن الهدف من الفن زمن هذه الجائحة في إنتاج صورة جمالية رمزية تعبر عن قيمة

(1) – أم الزين بن شيخة المسكيني، 2006، ص: 133
(2)– أم الزين بن شيخة المسكيني، 02/04/2020، ص: 2

حب الحياة وتجاوز صعوباتها من خلال تخطّي حالات التيْه والضياع المرعبة، تلك هي إذن مبررات الحاجة إليه زمن هذا الوباء الذي وضع الأفراد في وضعيات العجز دون رغبة التحرر من المخاوف وهيمنة النضرة السودانية التي لازمته منذ بروز هذه الفيروس الجرثومية في الصين.

يساعد الفن البشرية على المحافظة على الأمن أو الاستقرار النفسي للإنسانية في أصحب أزماتها وأقوى محنها وحمايتها من الوقوع في الفراغ، فهو يخبرنا أنّ الحياة ما زالت ممكنة وأن كلّ ما حدث لا يمكن أن يكون حدثا سجله أو دوّنه التاريخ، في حين يمكن أن يعدّ لنا المستقبل قصصا وأحداثا مغايرة[1].

يظل الفن على حد تعبير «نيتشه» تلك الوسيلة التي تحرر الإنسانية من عدمية الحياة والقيم الإرتكاسية التي تدعو إلى التشاؤم مقابل دفعها نحو الإنفعالات الإثباتية والجميلة التي تقول نعم للحياة في آلامها الأكثر فظاعة[2] .

يتعلق الأمر بضرورة تجاوز هذا الوضع الوبائي الكارثي وذلك من خلال نشر قيم الأمل، المحبة، الإعتراف بالجميل إزاء الأرض والحياة وتعميق إرادة الفعل لدى الإنسان التي تمكنه من التحرر من الضغوط النفسية التي فرضتها جائحة كورونا، فهذا التحرر يعدّ أجمل هدية لأبناء المستقبل كي يبقوا أوفياء لهذه الحياة رغم قسوتها.

لقد ساهم وباء كورونا في فرض العزل الإجباري على سكان العالم وسلبهم أبسط حرياتهم العادية، وفي هذا الوضع يكون الفن هو الوجه المشرق من هذا الوضع الكارثي أي أنّه يُعتبر السبيل الوحيد الذي يخرجنا من هذه الأزمات لأنّه يمثّل تلك الفسحة القادرة على تفكيك عزلتنا وكسر الحصار الذي فرضته هذه الجائحة، فلا مستقبل لدينا إلاّ بالفنّ الذي يريح النفس من حالة الخوف الرهيب من هذه الكارثة البكتيرية.

3.2. ضرورة اِحترام الإنسان للطبيعة من أجل مستقبل أفضل للبشرية:

طالما بقي الخطر الوبائي لدينا أمرًا مجهولاً من حيث المسببات، فإننا سنبقى نجهل مجموعة الإجراءات التي نتبعها لحماية أنفسنا من هذا الوباء المتحوّل من سلالة إلى أخرى.

يجوز لنا اِتخاذ القرارات التي تساعدنا على اِجتناب الأضرار المتواصلة لهذه الجوائح

(1)- أم الزين بن شيخة المسكيني، 02/04/2020، ص: 2
(2)- أم الزين بن شيخة المسكيني، 2010، ص: 134

التي عصفت بنا وبالتالي تكون العودة إل الذات الإنسانية أمرًا ضروريا لكي تعرف حدودها وتثبت مسؤوليتها إزاء هذا الخطر الوبائي.

قد يكون الإنسان طرفًا رئيسيا ومساهما أساسيا في بروز جائحة «كورونا» لأنه يجهل حتما قيمة الطبيعة ويفتقد فكرة اِحترام الوسط البيئي الذي يعيش فيه، لذلك كان من الأجدر على الإنسانية أن تأخذ الوجهة الكفيلة التي تحميها في المستقبل من خطر الأوبئة واِجتناب وقوعها كما حدث مع «الكورونا».

يبدُو أنّ أغلب الفيروسات أو الأوبئة كالطاعون، أنفلونزا الخنازير، الكوليرا ناتجة عن سوء تصرف الإنسان الحديث مع البيئة بسبب التكنولوجيا العمياء التي ألحقت الضرر بالطبيعة وفي هذا السياق تكهن الفيلسوف «هانس جوناس» في كتابه مبدأ المسؤولية الكارثة التي ستحصل للإنسانية جراء هذا التقدم الذي سيضر الإنسان بِاعتباره هو الكائن الذي يقدر على التصدّي للكارثة [1].

يؤسس هذا الفيلسوف لإتِيقا تحترم الكائنات المتواجدة مع الإنسان لذلك فهو يحمّل الإنسان مسؤليته إزاء النبات أو الحيوان الذي كان يوظفه لتحقيق مصالحه الذاتية.

يكون الإنسان مسؤولا أمام الطبيعة لأنّه أصبح مهددًا في حياته جراء هذا التعسف الأداتي عليها الذي أسس فينا على حد تعبير جوناس حالات الخوف من المرض أو الألم من الموت وقلق كوني من النتائج المجهولة للتكنولوجيا المهددة لحياة البشرية في هذا الكوكب[2].

يبدُو أنّ العودة إلى فلسفة «جوناس» الإيكولوجية تساعدنا على تخطي الأزمة الوبائية التي اِنتشرت بسرعة دون توقف وهي تعطينا البوصلة التي تمكننا من كيفية العمل المسؤول إزاء الطبيعة لضمان شروط إمكان إقامة مستقبلية في هذا العالم المهدد بِاستنزاف موارده وتشويهه بواسطة تصرفات الإنسان اللامسؤولة.

إنّ سوء التصرف مع محيطنا البيئي جعل البشرية تعاني من خطر الأمراض الجرثومية ونذكر هنا مثلا الاِستعمال المفرط للمضادات الحيوية الذي أسهم في تربية الجراثيم الفتاكة داخل المستشفيات، لذلك يعدُ هذا الوباء نتيجة لهذا الإفراط في سوء التعامل مع الوسط الذي نحيا فيه[3]، وبالتالي ينبغي على البشرية في هذه المرحلة من الوباء أن تفعّل مجموعة قوانين تدافع عن البيئة من التلوّث لكي نشرع لوجود مستقبل جيّد للإنسان

(1)- Hans Jonas, 1997, pp : 211-212.
(2)- أم الزين بن شيخة المسكيني، 2006، ص: 136
(3)- أحمد القاسمي، 27 أكتوبر 2020، ص: 2

دون أوبئة وجوائح قاتلة.

3.3. التضامن البشري كقيمة كونية:

لا يُفرّق «وباء كورونا» بين الأجساد ولا يَكْتَرث بكلّ التميّزات الثقافية التي أقامتها الحضارات البشرية على أساس الدين، الهوية، اللغة، الجندر والسلط، وهذا دليل يثبت لنا أنّ هذا الفيروس لا يعترف بالفُروقات، ولا يحبّذ أية مجاملة، ويتعلق الأمر هنا بضرب فكرة الهوية التي أسهمت في نشأة الصراعات الإيديلوجية والعرقية مقابل تأسيس فكرة المساواة بين كافة البشر الّذين يسكنون هذا العالم الفسيح، أي أنّ هذا الوباء يطُول ويخترق جميع الأجساد غير مكترث بالإنتماءات الاِجتماعية ولا أصل الهوية الذي يُميز طائفة عن أخرى.

إن أخطر ما يُهدد البشر هو تفشي هذا المرض وتطوّره مع اِنعدام الأمل الذي يُساهم في اِستفحاله وتفشيّه، فالخوف من هذا الفيروس هو خوف من صيرورته وحركته ومن تعامله العادل مع بني «أدم» لذلك يَجُوز للإنسانية تجاوز هذه الحالة المرهقة بواسطة توحّد سكان العالم ونشر قيم التضامن الكوني لتجنّب الأخطار الوخيمة لوباء كورونا.

يثبت لنا «إدغار موران» أنّ طفرة الاِقتصاد والعلاقات التجارية بين الدول يبدو أنّها قد وحدت العلاقات الإنسانية القائمة على الاِعتراف والتآزر الكوني غير أنّها لم تفعل سِوى خلق سوق ضخمة دون وعي بقيمة العلاقات الإنسانية الكونية، أي أنّ البشر أصبحوا مجرد زبائن في هذا العالم وليس مجموعة أفراد منتمين إلى العائلة الإنسانية[1].

يجوز للدول القاطنة في هذه الأرض أن تغيّر سياستها النفعية الاِستعمارية، وأن تنظر إلى البشرية كغاية في ذاتها وليْست كوسيلة تحقق بواسطتها مطامحها الذاتيّة وهذا من منطلق إيماننا الراسخ بأنّ البشر هم إخوة في هذا العالم الذي أصبح قرية، وبالتالي فإنّ التشريع إلى ضرورة التضامن الكوني قد يُساعدنا على الأقل على الحدّ من هذه الكارثة التي أصابت الإنسان العالمي.

وقد تُولّدُ الروح الجماعية التي ستمكننا من تجاوز أخطاء الماضي التي من أهمها نجد: إقصاء الآخر واِحتقاره، وإعطاء أهمية كبرى للحسابات المالية على القيم الإنسانية وغياب سياسات دولية تحدّ من وطأة الحروب التي تفرض علاقات تصادُمية بين دول العالم، مجموعة علاقات تعاون بين مختلف الدول لمجابهة هذا الوباء القاتل الذي

(1)- إدغار موران، 2020، ص: 1.

عصف بالعديد من الأرواح البريئة.

وقد بين «إدغار موران» (فيلسوف المستقبل) وجود جانب مشرق في هذه المحنة العالمية يكمن في اِنخراط مجموعة من الباحثين من أنحاء العالم في تضامن دولي للتغلّب على هذا الوباء وبروز بعثات طبية من مختلف أنحاء العالم إلى المناطق الموبوءة، ونذكر أمثلة وصول أطباء صينيين، تونسيين، كوبيين إلى إيطاليا التي اِنتشر فيها الوباء بسرعة في السنة الفارطة، وفي هذه السنة تم اِكتشاف تلاقيح متنوعة في بداية هذه السنة، تبرز لنا مظاهر التكافل الدولي بين الدول لمجابهة هذا المرض الجرثومي. نحن نعيش في عالم موحّد بواسطة فكرة العولمة، لذلك كان بإمكان الدول القاطنة في هذا العالم تقوية علاقات التضامن الكوني والعالمي للقضاء على هذا الفيروس وذلك بواسطة خلق علاقات تعاون بشري وبحث علمي مشترك لإيجاد حلول مناسبة تمكنها من التغلّب على جائحة كورونا وإعلان الاِنتصار عليها.

خاتمة

قد فرضت جائحة كورونا رسالة جديدة للإنسانية مضمونها الفكرة التالية: إنّ البشرية أصبحت مهددة في حقها الأساسي الذي كان بمثابة الشعار الأساسي لأصحاب النزعة الإنسانيّة الذين يَعْلُون من قيمة الإنسان وسيادته على الطبيعة، وهذا الحق يتجسد في ضرورة المحافظة على الذّات البشرية. فالتساؤل عن مستقبل الإنسان في ظل هذا الوباء خصوصا في مراحله الأولى يجعلنا نقول إنّنا أصبحنا موجودين في عالم مفزع، رهيب تسوده الأخبار المحزنة التي جعلت البشرية تفقد صفة الأمل وتدْرك أن للعالم نهاية وأنّ الأقدار تحدد مصيرها ممّا دفع بالعديد التخلي عن حريتهم ومكانتهم المعهودة والاِنزواء على الذوات والخوف من الآخر بوصفه عدوًا يقتلهم ويهدد وجودهم.

لا تزال معركة الإنسانية طويلة ومريرة مع هذا الفيروس الأوّل من نوعه رغم وجود أو اِكتشاف تلاقيح متنوعة، غير أنّها لا تكفي للقضاء عليه نهائيا لذلك كان من الأجدر لنا أن نفكر في مستقبل مغاير للإنسان لتجاوز حالة الفزع الدائم الملازم له وذلك بواسطة الفن الذي يمكّنه على الأقل، من التحرّر من حال الروتين المقلق وبعث مشاعر الفرح ومقاومة نمط الحياة الاِرتكاسية والسلبية وكذلك بواسطة تأسيس نواميس أو قواعد أخلاقية تجعل الإنسان مسؤولا تجاه الطبيعة وحمايتها من التلوث الذي قدْ يكون السبب الرئيسي في ظهور الأوبئة الفتاكة. وأخيرا يجب على الإنسانيّة إنشاء علاقات تضامنية من خلال

دعم البحث العلمي المشترك بين دول العالم لمزيد إنشاء أدوية مضادة لهذا المرض العويص رغم اِكتشاف التلاقيح وكذلك تمتين علاقات التآزر والتعاون وخصوصا مساعدة الدول التي لازالت تعاني من مشكل هذا الفيروس نظرا لعجزها عن توفير عدد ممكن من التلاقيح ومعاناتها من قلة التجهيزات الصحية.

تصبح إذا جائحة كورونا موضوع تأمل فلسفي يطرح بواسطتها عدّة إشكالات تبدُو عويصة ومقلقة بالنسبة إلى المشتغلين بالقضايا الوجدانية والحيوية، لذلك فإن تناول هذا المرض من جهة نظر الفلسفة يبدو ضروريا لأنه طرح عدّة مسائل خاصة بالوجود الإنساني مثل حتمية الموت ومشكل المستقبل والاِنزواء الذاتي الذي يمثل موضوع جدال بين الفلاسفة بوصفه يمنع حرية الإنسان ويجعله محصورًا ومقيدًا في فضاء مغلق، لكن تنتهي الفلسفة على الأقل بمدنا بمجموعة حلول لا يمكن أن نقول عنها إنّها نهائية، بل على الأقل تعلمنا تجاوز حالات الهلع والفزع المتعلق بنمط الحياة الجديد المفروض في ظل هذا الوباء، لأنّها تشرع لوجود تلك التصورات الفكرية، الإتيقية، والاِستطيقية التي تساعدنا على تجاوز وطأة هذه الجائحة والدعوة إلى مراجعة الذات لتطويرها والتفكير في حلول مناسبة.

قائمة المصادر والمراجع

1) الشيكر محمد، **هيدغر وسؤال الحداثة**، المغرب: إفريقيا الشرق، 2006.
2) المسكيني، أم الزين بن شيخة، **كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرّد العقل**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2006.
3) المسكيني، أم الزين بن شيخة، **الفن يخرج عن طوره أو جماليات الرائع من كانط إلى دريدا**، تونس، دار المعرفة والنشر، 2010.
4) تورين ألان، **نقد الحداثة**، ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، 1998.
5) كامل مجدي، **الوجودية تعريفها نشأتها أشهر أعلامها وموقفها من الإنسان والحرية والاِختيار والمسؤولية والكون والدين وسر الاِتهامات والاِنتقادات التي توجه لها**، دمشق– القاهرة، دار الكتاب العربي.
6) كانط إمانويل، **تأملات في التربية ما هي الأنوار؟ ما التوجه في التفكير، ترجمة محمود بن جماعة**، صفاقس، دار محمد علي الحامي للجنوب، 2005.
7) محمد علي محمود، **فلسفة ما بعد الكورونا**، مكتبة النور، 2021-03-14.

8) موران إدغار، إلى أين يسير العالم، ط 1، ترجمة أحمد العلمي، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009.

9) Jonas Hans, le principe responsabilité, trad, Jean greisch, Pris : cerf, 1997.

أهم المقالات الإلكترونية

1) أحمد القاسمي، جائحة كورونا من منظور الفلسفة والسياسة والاقتصاد، عربي 27 أكتوبر 2020.www.m.arabi

2) المسكيني أم الزين بن شيخة، الفن زمن الكورونا تأملات سينمانهاية العالم، أخبار المواطنة.

https : //akhbarmouwatna.com .8

26/04/2020 .9

3) المسكيني فتحي، الفلسفة والكورونا من معارك الجماعة إلى حروب المناعة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، فبراير 2020،

www.mominoun.com

4) المسكيني فتحي، الرهان على تنصيب الوباء عدوًا لا مرئيا يضللنا وفكر «آدم» التوحيديّة في خطر 612، الأوان www.alawan.org، حاورته ريتا فرج، 25/04/2020.

5) روي أروناتي، حول زمن الجائحة، موقع القنطرة، http://ar.qantra.de، 25/05/2021.

6) محمد محجوب، فتحي التريكي، محمد علي الكبسي، مها بشيري، حوارات كيف يفهم كبار أساتذة الفلسفة في تونس أزمة كورونا، حاورهم رمزي العياري، إلتراتونس، www.ultratunisi aultraswat.com.12/04/2020 ،